الأحد: 2023/11/05

التّوقيت: 11:20 – 12:50

القاعة: 14 في الكليّة

المحاضرة رقم 07: أشكال التّعبير النّثري التّقليدي

فنّ الحكاية أنموذجا.

شكّلت الحكاية جزءا من الأدب العربي لاسيّما في فترة العصر العباسي الذي يعدّ العصر الذهبي لما وصلت إليه العلوم بشكل عام والأدب بشكل خاص من مراحل التّطور والتّأثر والتّأثير بالثّقافات العلميّة الأخرى.

فكان للعرب حكايات مختلفة ومتنوعة كحكايات وادي عبقر وغيرها، لكن لم تكن مدوّنة كحكايات ولم يكن هناك جنسا أدبيا مستقلا يهتموا به العرب يسمّى الحكاية كالشّعر والخطابة مثلا لكن بعد ترجمة "كليلة ودمنة" و"ألف ليلة وليلة" التي نستطيع الجزم بأنّ هناك الكثير من الحكايات العربيّة قد أضيفت إليها، ظهرت هناك الكثير من المؤلفات على نفس الطّريقة ونفس النّسج ككتاب "الإمتاع والمؤانسة" لأبي حيان التوحيدي وكتاب "الحيوان" للجاحظ و"رسالة الغفران" لأبي علاء المعري وغيرها من المؤلّفات الأخرى.

الحكاية لا شكّ أنهّا تتغلغل في مفاصل حياتنا الاجتماعيّة، ولها في عالمنا العربي جذور عميقة، وتاريخ طويل، ولهذه الحكايات التي تتوارد منذ مئات السنين بشكل منتظم صوّر متعدّدة، تتطور مفاهيم إلقائها من جيل إلى آخر، لتبقى وكأنها هويّة مهمّة للإنسان، ومحور من محاور تواصله مع الآخر، بل ومرتكز يحمل الكثير من الدّلالات في زمن الفرح الجميل، أو الحزن الأليم.

1- تعريف الحكاية:

أ/ من النّاحيّة اللّغويّة:

حِكايةُ (ح ك ي): مصدرُ (حَكَى الحَدِيثَ)، يَحْكِيهِ: سَرَدَه، و(العُقدةَ): شَدَّها، و(الشَّيءَ): أَتَى بِمِثْلِه وعلى صِفَتِه، و(فُلانًا): حاكاهُ وشَابَهَه وفَعَلَ فِعلَه، أو قال مِثلَ قَولَه، و(عنه الكَلام):

نَقَلَهُ، (أو) اللَّهجةُ. والحِكايةُ: ما يُحْكَى ويُقَصُّ، وَقَعَ أو تُخُيِّلَ، ويتضح من خلال ما سبق أن الحكاية جاءت بمعنى نقل الخبر كما جاء وبشكل محبك.

ب- من النّاحيّة الاصطلاحيّة:

الحكاية فنٌّ في غاية القِدَم، مُرْتكِزٌ على السَّرْد المُباشر المُؤَدّي إلى الإمتاعِ والتَّأْثيرِ في نُفوس السّامعين، يَتَّخذُ مَوْضوعًا له الأَشياءَ الخَيَاليّة والمُغَامَرَات الغريبة، وقد يُعْنَى بالأُمور المُمْكنةِ الوقوعِ أَو الأَحداث الحَقيقية الّتي يُعدل فيها الرّاوي، ويُقْحم فيها أمالي خَياله وإحساسه، ومحصّلاتِ موقفه من الحياةِ.

كما هي إبداع فردي لراوٍ لا نعرفه، ولا نستطيع تحديد هويّته، والحكاية قصة تقليديّة، أو أسطورة مشهورة تتسلسل فيها الأحداث بطريقة مشوّقة، ويتم تناقلها شفويّاً من جيل إلى آخر بهدف إيصال الدروس والعبر التي يمكن الاستفادة منها في الحياة، وتتميّز كل دولة أو حضارة معيّنة بحكاياتها الخاصة التي تعكس تفاصيل تقاليدها وحضارتها ومعتقداتها الاجتماعيّة، وتأخذ الحكايات عدّة أشكال منها: الحكايات الطويلة، والخرافات، وقصص الأشباح والجان، والوحوش، وتحويل الأبطال إلى حيوانات وجمادات وغيرها.

وتعدّ الحكاية أيضا مجموعة من الأحداث عن شخصيّة أو أكثر، يرويها راوٍ وفق ترتيب زمني وترابط سببي بصورة مشوقة، مُستعملًا السّرد والحوار أو السّرد وحده، وهي تتطوّر نحو ذروة وتعقيد فَحل، ويتم نقلُها شفويًّا من جيل إلى آخر، وغالبًا ما تحتوي هذه الحكايات على دروس وعبر يُمكن الاستفادة منها في الحياة.

أي أنّ خطاب الحكاية أو تكوينه لا يخرج عادة عن متطلّبات حياة المجتمع ومكوناته المعنويّة، بل هو الذي يؤسّس للكثير من المفاهيم اليومية المعاشة، فهذه الحكاية يتم تداولها من خلال التعاطي مع الحياة من حولنا، ولكل قضيّة حكاية، ولكل مشهد إنساني قصة، فلا تخلو هذه الرّؤية الإفصاحيّة الدّارجة على اللّسان من أن تُكوِّنَ في الذّات البشريّة إطاراً متعدّد

الميول، ومتشعّب الرّؤى.. من حكاية النّجاح إلى حكايات الإخفاق، ومن قصص النّوادر والحوادث والتّحولات، ومنابع الخوف من المجهول، ومن الأسقام، وسني العطش والجوع تتوالد هذه الخطابات الحكائيّة .. إذ لكلّ شيء قصّة وحكاية تنوه عنه وتكشف خباياه بشكل أو بآخر.

والحكاية في التّراث هي القّصة المرويّة التي قد تستند إلى المخيِّلة بصورة أساسيّة وإلى بعض الحقائق في بعض جوانبها وإلى البطولات الجبّارة والقدرات الخارقة والموت والحياة والفقر والغنى والخير والشر، وهي نوعٌ من السّرد أو قصّة سحريّة تجري في عالم حقيقي أو سحري.

2- أشهر الحكايات في التّراث العربي:

من حكايات التراث العربي نجد:

- الحكاية الموضوعة على لسان الحيوان، في الجاهلية، تلك الحكاية التي يفسّر بها المثل القائل في التعاون، وأنّ التفريط في الجزء يعني التفريط في الكل، فقد "قالوا اصطحب أسد وثور أحمر وثور أبيض وثور أسود في أجمة، فقال الأسد للأحمر والأسود: هذا الأبيض يفضحنا بلونه، ويُطمع فينا مَن يقصدنا، فلو تركتماني آكله أمنّا فضيحة لونه، فأذنا له في ذلك، فأكله، ثمّ قال للأحمر: هذا الأسود يخالف لوني ولونك، ولو بقيت أنا وأنت ظنّ من يراك أسداً مثلي فدعني آكله، فسكت عنه فأكله، ثمّ قال للثور الأحمر: لم يبق إلا أنا وأنت، وأريد أن آكلك، فقال: إن كنت فاعلاً ولابدّ، فدعني أصعد تلك الهضبة، وأصيح ثلاثة أصوات، قال: افعل ما تريد، فصعد وصاح ثلاثة أصوات، ألا "إنما أكلت يوم أكل الثور الأبيض"، فجرت مثلا.
- قصة ألف ليلة وليلة، وهي مجموعةُ قصصٍ متسلسلة اختلف البَاحِثون في أصلِها وتاريخها. ولها أصلٌ نقل عن الفارسية قبل القرن الرَّابع للهجرةِ عن كتاب (هزار أفسانه)، وقد أضافَ العربُ إلى هذه القصص ووسَّعوها وغيَّروا وبدَّلوا فيها حتى صارَت إلى ما صارَت إليه، وهي تمثِّل الآداب الاجْتِمَاعِيّةَ في القرون الإسلاميَّة الوُسْطَى، وتتميّز بـ:

1/ أماكنها السِّحْرية الغريبة.

2/ دسائسها السِّرية الخفيفة.

3/ منطقها الخاصّ الّذي لا يشبه منطِق الحِكَايَات الغربية.

4/ تغيرات شَخْصِيَّاتها العجيبة مما لا نجدُه في الفكر الغربي [الرِّجَال يتحولون إلى بهائم أو كائِنَات غريبة، أو إلى مَرَدة وعفاريت على نسق بداية إحدى الحِكَايَات العَرَبِيّة: "يا أمير الحِكْمَة العظيمة! سوف تعرف أننا ثلاثة أخوة: هذان الكلبان الأسودان اللَّذان تراهما، وأنا ثالثهما!".

كليلة ودمنة: هو أوّل كتاب في تراثنا الحكائي انتقل بقصص الحيوان من مرحلته الشفاهيّة (الفولكلوريّة) إلى مرحلته الكتابيّة (الأدبيّة)، ومن هنا تتجلّى قيمته التّاريخيّة والفنيّة، باعتباره أوّل كتاب قصصي في تاريخ الأدب العربي، مجموع في صعيد واحد، متخصص في فن سردي واحد، هو قصص الحيوان الرّمزية وتضمه حكاية إطارية واحدة هي حكاية دبشليم الملك وبيدبا الفيلسوف (على غرار حكاية شهريار وشهرزاد). والكتاب في بنيته العميقة وغاياته البعيدة كتاب سياسي على لسان الحيوان، يعكس قصة الصراع الأزلية بين السلطة والثقافة (السيف والقلم) ومؤلفه هو ابن المقفع (ت 145هـ).

وكليلة ودمنة أيضاً هو أوّل كتاب في أدبياتنا السياسية (أو علم تدبير الملك)، وفيه نرى أنّ ابن المقفع لا يكتفي بالسعي إلى تقويض نظرية التفويض الإلهي أو برسم قواعد السياسة الداخلية، بمعنى تحديد الحقوق والواجبات، لكلٍّ من الرعية والسلطان، حيث يهدف – كما يقول – إلى أن "يكون ظاهرة سياسة العامة وتهذيبها، وباطنه أخلاق الملوك وسياستها للرعية"، بل يتحدث كذلك عن رسم السياسة الخارجية، على نحو ما نلمح في باب البوم والغربان (حيث العداوات التاريخية الموروثة بين الدول أو الشعوب – قديماً وحديثاً – لا يفلح معها صلح، وأنّ سياسة "التطبيع" أحياناً قد تكون ضرورة تكتيكية لا استراتيجية). وقد فجّر هذا

الكتاب – على الرغم من مصادرته والتمثيل بصاحبه – ثورة إبداعية، فقد تمت محاكاته شعراً ونثراً في عشرات الأعمال.

- **مرايا الأمراء:** ثمّة تراث علمي وأدبي عرفته الحضارات القديمة والوسيطة في علوم تدبير الملك، ويتعلق بأدبيات السياسة، يعرف باسم "مرايا الأمراء" كان موجّهاً لإرشاد الأمراء وتقويم الملوك في كيفية قيادة سفينة الحكم وإدارة شئون البلاد، وسياسة العباد، على نحو تعليمي معرفي عملي في آن، يتحقق معه العدل والرفاه للرعية. وأقدم حكاية تتردد في كتاب التراث تلك التي تعرف بحديث بومة البصرة وبومة الموصل التي ظلت حيّة في الوجدان السياسي حتى استشهد بها ابن خلدون ويتجلى هذا النوع من الحكايات/ المرايا في هذا الكتاب النادر "الأسد والغواص" الذي يعود إلى القرن الخامس الهجري، وقد دارت حكاياته الإطارية والفرعية بين الأسد (الملك) والغواص (الثعلب الحكيم).
- **قسمة الأقوياء في عصر العولمة:** في مجال النقد السياسي تسعى هذه الحكايات – عبر أقنعتها الحيوانية – إلى هتك المستور، وفضح منطق القوة، وكشف أساليب الأقوياء، وتعرية فلسفتهم في العدل.
- **جَوْر السلطان:** من الحكايات التي ذكرها أبو حيان التوحيدي (ت 414هـ) في كتابه البصائر والذخائر، ضمن هذا السياق: "نظر ثعلب إلى جمل يعدو خارج المدينة، فقال: ما وراءك؟ قال الجمل: جُعلت فداك، سُخّرت الحمير والبغال! فقال: وما أنت والحمير والبغال؟ قال الجمل: أخاف جور السلطان! ومن المعروف أنّ الكثير من قصص الحيوان ونوادره تراث شعبي مجهول المؤلف، الأمر الذي يعني قيمة مضافة إلى مساحة الحرية المتاحة خلف الأقنعة الحيوانية، في هذا الأدب، في مجال النقد السياسي والاجتماعي والأخلاقي.
- **نوادر الحيوان:** من قصص الحيوان شكل ممعن في الإيجاز يعرف بنوادر الحيوان المرحة، ويتسم بالتهكم اللاذع وروح السخرية المريرة، وله كالنكتة سواء بسواء غايات انتقادية، خاصة في مجال السلوكيات السلبية للحياة والأحياء، مثال ذلك ما رواه الثعالبي (ت

429هـ) في التمثيل والمحاضرة، وما رواه الآبي (ت 421هـ) في موسوعته الفكاهية الكبرى المعروفة بنثر الدّرر:

– قالوا: إن جديا وقف على سطح عال، وراح يشتم ذئباً يمرّ من تحته، فقال الذئب: لست أنت الذي يشتمني، ولكن مكانك يفعل ذلك!

– وقالوا: قبض كلب على أرنب، فقال له الأرنب: والله ما فعلت هذا لقوّتك، ولكن لضعفي!

– وقالت البعوضة للنخلة: استمسكي! فإني عنك ناهضة، فقالت: النخلة: ما أحسست بوقوعك فكيف بنهوضك؟!

– قيل للبغل: مَن أبوك؟ فقال: خالي الفرس!!

- **الطبع يغلب التطبّع:** وعوداً على بدء تلعب الحكاية على لسان الحيوان دوراً متميّزاً في مجال النقد الاجتماعي والأخلاقي والتربوي، مثال ذلك هذه الحكاية الفرعية التي رواها ابن المقفع ليكشف من خلالها أنّ الإنسان مهما تخلّق بطباع ليست من طبيعته، فإنّه حتماً سوف يعود إليها وينكشف أمره، فقد زعموا انّه كان ناسك مستجاب الدعوة، فبينما هو ذات يوم جالس على ساحل البحر، إذ مرّت به حدأة في رجلها درص فأرة (ولدها)، فوقعت منها عند الناسك، وأدركته لها رحمة، فأخذها ولفّها في ورقة، وذهب بها إلى منزله، ثمّ خاف أن تشق على أهله تربيتها، فدعا ربّه أن يحوّلها جارية: فتحوّلت جارية حسناء، فانطلق بها إلى امرأته، فقال لها: هذه ابنتي، فاصنعي معها صنيعك بولدي، فلما كبرت، قال لها الناسك: يا بنيّة اختاري من أحببت حتى أزوّجك به، فقالت: أمّا إذا خيّرتني، فإني أختار زوجاً يكون أقوى الأشياء، فقال الناسك: لعلك تريدين الشمس! ثمّ انطلق إلى الشمس فقال: أيها الخلق العظيم، لي جارية، وقد طلبت زوجاً يكون أقوى الأشياء، فهل أنت متزوّجها؟ فقالت الشمس: أنا أدلّك على من هو أقوى مني: السحاب الذي يغطّيني، ويردّ حر شعاعي، ويكسف أشعة أنواري، فذهب الناسك إلى السحاب، فقال له ما قال للشمس،

فقال السحاب: وأنا أدلك على مَن هو أقوى مني: فاذهب إلى الريح التي تقبل بي وتدبر، وتذهب بي شرقاً وغرباً، فجاء الناسك إلى الريح، فقال لها كقوله للسحاب، فقالت: وأنا أدلك على من هو أقوى مني، وهو الجبل الذي لا أقدر على تحريكه، فمضى إلى الجبل، فقال له القول المذكور، فأجابه الجبل وقال له: أنا أدلك على مَن هو أقوى مني: الجرذ (الفأر الكبير) الذي لا أستطيع الامتناع منه إذا ثقبني، وأتخذني مسكناً، فانطلق الناسك إلى الجرذ فقال له: هل أنت متزوج هذه الجارية؟ فقال: وكيف اتزوجها وجحري ضيق؟ وإنما يتزوج الجرذ الفأرة، فدعا الناسك ربّه أن يحوّلها فأرة كما كانت وذلك برضا الجارية، فأعادها الله إلى عنصرها الأوّل، فانطلقت مع الجرذ.

- سيرة عنترة ابن شدّاد.
- سيرة أبي زيد الهلالي.
- سيرة علاء الدّين.
- حكايات علي بابا والأربعين حرامي.
- السّندباد.
- الزِّير سالم.
- قصّة علي الزّيبق المصري.

ومنها نشأت مهنة الحكواتي الذي كان يجيد سرد الحكايات أمام جمهور من العامّة في المقاهي وأماكن تجمع النّاس في سهراتهم.

3- من هو الحكواتي؟

تقول العرب: هذه حِكايتُنا!

وتقول العرَب أيضًا: (الحَكَّاءُ): الكثيرُ الحِكايةِ، (أو) مَن يَقُصُّ الحِكايةَ في جَمْعٍ مِن النَّاس، و(الحَكَواتي): اسْمٌ لمن يحفظُ القصصَ ويرويها أمامَ النَّاس في المقاهي والسَّاحَاتِ

والبُيوت. قبل شروعِه في القِصَّة يحكي لهم مقدمَةٌ تُسمى "الدّهليز" فيها نوادرُ ونصائحُ وأحاجٍ. وبعد ذلكَ، يكمِلُ ما كان قدَّمَه لهم في اللَّيْلةِ السَّابقةِ من سِيَرٍ شّعْبِيّة ودينية وتاريخيَّة وقصص اجتماعيَّةٍ ناقدَةٍ. وكان يُلَقَّبُ بعدة ألقاب تتناسبُ والموضوعاتِ التَّي يطرحها، فكان يُدعى "السَّمير"؛ أي: حكواتي السَّهراتِ واللَّيالي، و"المدَّاحَ أو المقلدَ"، وهو الّذي يعتمدُ في قَصَصِه على الإيقاعِ والإنشادِ والحَرَكةِ، و"المحدِّثَ"، الّذي يتناولُ المواعظَ الدّينيَّةَ والأحاديثَ النَّبويَّةَ، و"القصاصَ"، وهو مَن له منبرٌ خاصٌّ في المساجدِ، ويستمدُّ أحاديثَه من القرآنِ الكريمِ، و"المسمر"، واسمه مُستوحى من سَمَرِ اللَّيْلِ، وكان معروفًا قبل الإسْلام، و"الفداوي"؛ أي: الرّاويفي بلاد المغرب، وكان يستخدمُ أحيانًا المكياجَ والمساحيقَ لتغيير ملامِحِ وجهِه، ويبدلُ لهجاتِ صوتِهِ بما يتناسبُ ودورَ الشَّخْصِيَّة التَّي يروي عنها، وقد ترافقُه الموسيقا (الرَّبابة، والطَّبلة، والفلوت..)، وهو يقوم بدورٍ تثقيفيٍّ مهمٍّ في المجتمعاتِ البسيطةِ، وعليه مسؤوليَّةٌ اجتماعيَّةٌ في بيئةٍ لا تفقه القِرَاءَة والكِتَابَة.

4- أنواع الحكايات:

ابتكرت كلّ الشّعوب القديمة تقريبًا حكايات شعبيّة فيها شخصيّات لحيوانات لها صفات آدميّة، كالثّعلب مثلًا، كان يصوَّر دائمًا على أنّه ماكر، والبومة على أنّها عاقلة في بعض الثّقافات ونذير شؤم في ثقافات أخرى، وبمرور الوقت، بدأ النّاس يحكون الحكايات لتعليم الأخلاق الحميدة، وأصبحت الحكايات خرافيّة.

فالحكايات الشّعبيّة هي قصص نثريّةٌ تقليديّةُ المُحتوى، تنتقلُ من جيلٍ إلى جيلٍ انتقالًا شفهيًّا، من طريق الإنشاد أو الرّوايةِ، وهي حاصل ضرب عدد كبير من ألوان السَّرْد القصصي الشَّفهي الّذي يتعرّض للزّيادة أو النّقصان وفقًا لمزاج "الحَكَوَاتي" وقدرته على الحفظ أو على التَّخيل.

وهي تجمع بين تفاصيل الحَيَاة الوَاقِعِيَّة المعقولة واللَّامعقولة، وتنتهي نهايات شِعْرِية؛ أي: (انتصار الخير وانهزام الشّر)، والحكاية تختلف باختلاف هدفها وغايتها ومدى صدقها وخيالها لذا نجد أن هناك أنواع عديدة من الحكايات:

1/ الحكاية الخرافيّة:

هي قصّة أو حكاية خيالية قصيرة ذات مغزى ويمكن القول أنّها حكاية سرديّة تنتمي صراحة إلى عالم الوهم من خلال اللّجوء إلى الشّخصيّات الخياليّة، والقبول بما يخالف الطّبيعة «الخوارق»، وتصوير العالم غير الواقعي (الفنتازي، الأسطوري، الخرافي)، وفي معظم الحكايات الخرافية، يمثّل واحد أو أكثر من الشّخصيّات حيوانًا أو نباتًا أو شيئًا يتكلّم ويتصرّف كمخلوق بشري، ويمكن أن تُقص الحكاية الخرافية نثرًا أو شعْرًا، وفي عديد من الحكايات، يمكن تلخيص المراد من القصّة أو مغزاها في النّهاية على شكل مثل شعبي.

2/ الحكاية على لسان الحيوان:

نوع من أنواع الحكاية الذائعة في الآداب القديمة، ولعلّ أهمّ ما يميّزها عن غيرها من أنواع الحكايات أنّ الحيوان هو الذي يلعب فيها دور البطولة، وإذا تجاوزنا حكاية الحيوان الأسطوريّة (التّعليلية) التي تنتمي إلى دنيا الأسطورة، فإنّ هناك ثلاثة أشكال أدبية منها هي، حكاية الحيوان القصيرة التي تعرف تراثياً باسم "خرافة الحيوان"، وهناك رواية الحيوان وملحمة الحيوان، ويجمع بينها جميعاً أنها تروى شعراً كما تروى نثراً، وأنّ الحيوان يلعب فيها دوراً إنسانياً، ومن ثمّ فهي إنسانية الطابع، عالمية المضمون، ذلك أنها قادرة – ببساطتها البنائيّة، ورمزيتها المجازيّة، وعبقريتها الجمالية، وبتراثها في التأويل – على أن تنفذ إلى الملتقى، في أي زمان ومكان، على اختلاف مراحله العمرية، ومستوياته الثّقافية، وأنّ ظاهرها لهو وباطنها حكمة.

واللّهو هنا ليس إلاّ حكي على لسان الحيوان وغرائبيته، وفيه تكمن قيمه الجمالية/ الإمتاعية، وحكمته العمليّة أو قيمته التّعليميّة، أو الوظائفيّة، ولاسيما في مواجهة المسكوت عنه سياسياً ودينياً واجتماعياً وأخلاقياً، ومن دون الوقوع في براثن الصدام المباشر مع السّلطة والمجتمع، ومن هنا عُرف هذا النوع من الحكايات على لسان الحيوان باسم الحكاية/ القناع.

والتراث العربي احتفى بهذا النّمط القصصي وأشكاله السّردية المختلفة من حكاية ورواية وملحمة، ومن أمثال ونوادر، شعراً ونثراً، على لسان الحيوان، ولعل أقدم نصوصه تعود إلى العصر الجاهلي، على نحو ما نرى – مثلاً – في شعر النابغة والأعشى وأمية بن أبي الصلت.

ولعل من أقدم قصص الحيوان خرافة **الحية والفأس** التي تعود إلى العصر الجاهلي، باعتبارها أصلاً للمثل السائر حتى اليوم "كيف أعاودك وهذا أثر فأسك"، وقدر رواها المفضل الضبيّ (ت 170هـ) في كتابه (الأمثال).

3/ الحكاية الواقعيّة:

وهي التي تمثّل الأحداث التّاريخيّة.

والحكاية تكون في أغلبها في قالب نثري لكن هناك بعض **الحكاية الشّعريّة** وهي التي تكون أقصوصة شعريّة قصيرة غالبًا، بسيطة العناصر الفنّية القصصيّة، وغالبًا ما تكون رمزية، من ذلك حكايات أمير الشّعراء **أحمد شوقي** وهو رائد الحكاية الشّعرية في العصر الحديث.

تفاوتت حكايات شوقي طولًا وقصرًا؛ إذ إنّ هناك حكاية تحتوي على عشرات الأبيات، وهناك أخرى تحتوي ثلاثة أبيات، وهي لا تخرج في خصائصها طولًا أو قصرًا عن الحكاية، ولقد أتحف الأدب بالطّرائف والنّوادر، وكم تُرُنِّمَ بحكايته التي ما زالت أصداءها تتردّد إلى الآن؛ ولهذا كان من أخصب شعراء العربيّة.

5- خصائص الحكاية:

لكل فنّ خصائص تميّزه عن غيره من الفنون، ومن خصائص الحكاية ما يأتي:

1/ تتنوّع أحداث الحكاية بين أحداث حقيقية متوارثة، وأخرى وهميّة يستقي فيها الإنسان الأحداث من خياله.

2/ تختلف أشكال الحكايات، إذ يمكن أن تكون نثريّة، أو شعريّة في طبيعتها.

3/ تتعدّد أغراض الحكاية، إذ قد تكون بداعي المتعة، أو التّعليم، أو إيصال حكمة ما للسّامع أو القارئ.

4/ تختلف الحكاية عن الرّواية بكونها أقصر منها.

5/ تتّسم الحكاية بقدر من المرونة الكافيّة لإضافة ما يرغب به القاص من تفاصيل وأحداث، وذلك لأنّها غير مؤطّرة بزمان ومكان محدّدين على الأغلب.

6/ تأخذ الحكاية -على الأغلب- شكل الوصف السردي المنطوق.

7/ ليست خاصة بطبقة دون طبقة.

8/ لا تلتزم بأسلوب دون غيره.

9/ لا تعير اهتماما بالمؤلف بقدر ما تهتم بالسارد.

10/ تعبر عن رغبة السارد من جهة وعن الرغبة في السرد من جهة أخرى.

6- عناصر الحكاية:

للحكاية عناصر معيّنة تصنعها، هي:

1/ البطل: يُعتبر البطل عصب الحكايات، والمحرك الرئيسي للأحداث فيها، فامتداد الحكاية محكوم بمصير البطل نفسه، ووصوله إلى غايته، وتكون مهمّة البطل في الحكايات هي الإتيان بالخوارق والمعجزات، والأحداث غير المألوفة للتغلّب على ما يقف في طريق تحقيق هدفه من أشخاص ومواقف ووحوش.

2/ الزّمان: اعتاد سامع أو قارئ الحكايات على أن تبدأ أغلبها بعبارة "كان يا ما كان في قديم الزمان"، وهو ما يسم زمان أغلب الحكايات ومكانها بالغموض أو الإبهام، إلّا أنّ بعض الحكايات تحدّد زمان وقوع أحداثها، فيُقال: في عهد السّلطان الفلاني، أو بعد الحدث الفلاني، وما إلى ذلك، وتجدر الإشارة إلى أنّ السّامع قد يستطيع التكهّن بزمان بعض الحكايات من خلال ما يرد فيها من عادات ومعايير كانت سائدة في بعض العصور، مثل الجواري، أو احتلال دولة معيّنة لأخرى مثلاً أو غيرها، ومع ذلك فإنّ هذه الطريقة لا تعكس مكان الحكاية على وجه الدقّة؛ نظراً لأنّ الحكايات تنتقل وتتوارث مع الأجيال – كما سلف الذّكر– وهو ما قد يعرّضها للتّغير والتّحريف على ألسنة القاصّين فلا تكون بذلك مؤشراً دقيقاً على ما جاء فيها.

3/ المكان: قد يُذكر المكان في بعض الحكايات فيما يُغض عنه الطرف في بعضها الآخر، نظراً لأنّ الأماكن التي يُعنى القارئ بها هي تلك التي تتدخل في تحديد حركة البطل، أو تفرض بعض الأحداث الرئيسية خلالها، وما إلى ذلك من أمور تعتبر هامّة للسّامع أو القارئ، وبعض الحكايات تُبدأ دون الوقوف على مكان حدوثها، ثمّ تُذكر خلالها أماكن أخرى وقعت فيها بعض التفاعلات المهمّة للبطل، كانتقاله من مكان إلى آخر، أو التقائه بشخصية ما في مكان معيّن.

وحينما نتأمّل الحكاية العربيّة نجدها أكثر ثراء وتعبيراً من مثيلاتها في الحكاية الغربيّة أو الشّرقيّة، حيث تأتي حكايتنا العربيّة محملة بأثير العاطفة الجيّاشة، بينما حكاية الغربي أو الشرقيّ تأتي مباشرة وتخلو من أي بواعث وتأملات جانبيّة، كما أن حكايتنا العربيّة تأتي غالباً مشبّعة بالأمثال والصوّر البليغة، والمحسّنات والبديل اللّغوي وجمال الصّورة، وعفويتها في وقت تفتقد إلى حد ما منقولات اللغات الأخرى إلى مثل هذا التميز الجمالي في وصف الموقف في أي حكاية.

حكايتنا العربيّة والمحليّة على وجه التّحديد غالباً ما تُنتقَد بوصفها عالما لفظياً قابلاً للزّيادة والنّقصان، بل إنّ صور المبالغة في الوصف في هذه الحكايات تكون أحياناً واضحة المعالم، ولا تخطئها عين قارئة، أو تتجاوزها ذائقة راصدة.

كما أن تواتر نقل الحكاية المحليّة على مدى طويل قد يعرضها للكثير من التّحريف والتّعديل، أو الاجتزاء، لتساير الموقف الذي وردت من أجله هذه الحكاية أو تلك، فالنقل هنا قد يخلو من مضامين الصدق والموضوعية، ليقوم في هذا السّياق عنصر مشكّك في صدقية بعض المقولات والحكايات والمنقولات على نحو المثل العربي الذي يؤكّد أنّ الحكاية في امتحان صعب، فهم يقولون: «آفة النّقل النّسيان» أيّ أنّها معرّضة للتّحريف، وقابلة للتّحوير والنّحل وما سواه.

فالتّاريخ يقرب إلى حكاياتنا وقصصنا ومشاهد حياتنا، حكايات «ألف ليلة وليلة» و«كليلة ودمنة» و«إخوان الصّفا» و«الشّطار» وحكايات الطّير والحيوان وما إلى ذلك من صور حكائيّة متعدّدة الألوان، ومنقولات كثيرة تغرق في وصف حياتنا اليوميّة وأحلامنا العفويّة ومطالبنا الخياليّة، فباتت الحكاية مثار الإعجاب ومعجزة في البناء الفني للعالم من حولنا، ليغلب عليها طابع النّسج الخيالي المفعم بقدرات عجيبة على الإفصاح بصور حكائيّة متعدّدة تتلوها ألسنة الرّواة بطريقة مدهشة.